خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٠٥/٠٨/٢٠١١

في "مسجد بيت الفتوح" بلندن

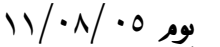

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمّـــدًا عبـــده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّـــاكَ نَعْبُـــدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْـــرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ (الرحمن ٢٧-٢٨)

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في هذا الموضوع: كلُّ شيء فانٍ وتبقى ساعةُ ربك. ثم يقول: لقد جعل الله موتا حتميا لكل شيء إلا ذاته.. أي قد ألزم الله سبحانه وتعالى كلَّ شيء الموتَ إلا ذاته. ثم يقول في قصيدة له باللغة الأردية كتبها بعنوان "آمين" بمناسبة ختْم ابنه الأكبر سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه القرآنَ

الكريم أول مرة وهي تتضمن أدعية ونصائح، وقد أشرك فيها ابنَيه الآخرَين.. بل هي تشمل جميع أفراد الجماعة أيضا، وهذه القصيدة طويلةٌ يقول فيها حضرته عن كون هذه الدنيا مؤقتةً فانية، وينصح بعدم الالتفات إليها والزهد فيها:

إن الدنيا دار الفناء، فلا بد أن يرحل منها كل من حلّ فيها، ولا بد أن يغادرها الإنسان حتى لو عاش مائة عام.

ثم يقول في أحد الأشطار: "ليس هناك محل للشكوى فهذه الدار فانية لا بقاء لها"

فإمام الزمان الذي بُعث في هذا الزمن لتقريب العبد من خالقه يلفت انتباه أولاده ونسلِه وأبناء جماعته – حتى بمناسبة الأفراح – إلى أن فرحتنا الحقيقية تكمن في إنشاء العلاقة بالله ﷻ والفوز برضوانه. حين يحتفل أهل الدنيا بالأفراح ينشغلون في البدع الغريبة واللغو حيث تكون هذه الاحتفالات بدافع الرياء، لكنه عليه السلام علَّمنا أن نتجه إلى الله ﷻ كل حين وآن. ويجدر أن ينحصر اهتمامُنا في الفوز برضا الله ﷻ، ومن ثم يجب أن تكون كل أعمالنا بدافع الفوز برضوان الله ﷻ. وإذا تحقق لنا هذا الإدراكُ فسوف يتجه مسار أفراحنا وأحزاننا تجاه الفوز برضوان الله ﷻ. أي شيء كان يُفرحه عليه السلام أكثرَ من أن يكون أولاده متوجهين إلى الله ﷻ، وغارقين في حب النبي ﷺ وقارئين لكتابِ الله القرآن الكريم أي الشريعة الأخيرة النازلة على النبي ﷺ وعاملين به، وهو عليه السلام الذي بُعث لتحقيق مهمة رسول الله ﷺ؟ فحين أكمل المصلحُ الموعود رضي الله عنه أول ختمة للقرآن الكريم أقام عليه السلام بهذه المناسبة مأدبة وكتب قصيدة

خصيصا لهذه المناسبة، وكل بيت لها كما قلت يفيض بالأدعية الحارقة والحمدِ والثناء على الله والنصائح القيمة. وبمناسبة هذه الفرحة أيضا لفت انتباه أولاده وأتباعه تأسيا بأسوة النبي ﷺ أن يزهدوا في الدنيا وأهلها، وأن يذكروا الله ﷻ دوما، فهذا هو الهدف من الحياة، إذ سوف يأتي زمان يرتحل فيه الإنسان من هذا العالم تاركا الدنيا ومتاعها كله، فيقول حضرته: ليس هناك محل للشكوى فهذه الدار فانية لا بقاء لها.

فإذا كانت الدنيا وما فيها فانيةً غير دائمة فإن حبها أيضا عبثٌ لا معنى له، ولا مبرر للشكوى. فإذا أردتم اكتساب المنافع الدائمة فبإنشاء العلاقة بالذات الأزلي الدائم والخالد فقط. وهذا الذات الخالد هو الله ذو الجلال الإكرام. وقد لفت الله تعالى انتباهنا في هذه الآيات التي تلوتها عليكم إلى أمرين مُهمَّين: أولهما أن كل شيء قابل للزوال تدريجياً وسيفنى في نهاية المطاف، وأن المحطة الأخيرة لكل إنسان هي الموت. وإلى جانب ذلك لفت أنظار المؤمنين – الساعين لنيل رضا الله تعالى الذين يصبحون له ﷻ كلِّيا ويبحثون عنه دائما ويربّون أولادهم ليتمسكوا بالحسنات ويسعون لرفع مستوى روحانيتهم ويحاولون الالتزام بتعاليم القرآن الكريم – إلى أنهم يفارقون هذه الحياة الفانية ولكنهم ينالون حياة أخروية دائمة، ويدخلون في كنف حب الله تعالى في الآخرة، ويأتيهم النداء الإلهي العذب: ﴿فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾.

فقد بُعث سيدنا الإمام المهدي عليه السلام في هذ العصر ليوصل العبد بالله تعالى، ويفهِّمه مضمون ﴿فادخلي في عبادي﴾ ليجعله وارثا للجنات الأبدية. ففي هذه القصيدة الأردية التي نُظمت بمناسبة الفرح وجّه الأنظار إلى البحث عن

الحياة الأبدية وأن هذه الحياة الأبدية لا تُنال دون الوصول إلى الله تعالى. يقول الله تعالى: ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٨٩) فيجب أن نذكر هذا الأمر ونجعله نصب أعيننا دائما. وهذه هي الغاية التي يجب أن نحققها لأنها هي الغاية المتوخاة من خلقنا، كما يقول الله تعالى: ﴿وما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، وسوف يفهم المرء هذا المفهوم للعبادة ويسعى جاهدا للعمل به حين يوقن يقينا كاملا بأن لا إله إلا الله، وكل شيء ما عداه هالك وفانٍ إلا من توجَّه الله إليه. والله تعالى لا يتوجّه إلا إلى الذين يعبدونه مخلصين له الدين، ويسعون للعمل بأوامره مؤمنين به واحدا لا شريك له. فحين أخبر الله تعالى بطرق العبادة هيأ للإنسان فرصا أيضا للوصول إلى مستوياته العليا ورفعها. إن شهر رمضان الذي نمر به حاليا يأتي كل عام لنعرف ربّنا وخالقنا وننقذ أنفسنا من الهلاك، ونرفع من مستوى حسناتنا وروحانيتنا. فطوبى للذين يستفيدون من مثل هذه المناسبات حق الاستفادة، ثم يسعون إلى أن يكونوا عباد الله على مدار السنة مؤدّين حق عبادته ويسعون لعبادة الله بصبر ومثابرة. ولا يستطيع أن يفعل ذلك إلا الذين يدركون جيدا أن: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾. فليس البقاء إلا للذات الإلهية، إذ ليس لها فناء ولا زوال، وسنمثل أمامه بعد الموت حيث ننال جزاء أعمالنا. فقد أعطانا الله تعالى درسًا في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ أن الموت حق ولا منجى من الفناء، أما الذين يتفانون في ذات الله تعالى فإنهم ينالون الحياة الجديدة ويصيرون في كنف حب الله ﷻ.

أعود إلى الموضوع وأقول: مَن الذين يتفانون في وجه الله؟ إنهم أولئك الذين يعرفون مقصدَ حياتهم ثم يقضون حياتَهم بحسبه. فمباركون أولئك الذين يسعون جاهدين لفهم هذا الموضوع في حياتهم الدنيوية والعمل به. وفقنا الله جميعًا لذلك، وجعل شهر رمضان هذا يقربنا نحو هذا الهدف الذي سعى آباؤنا لفهمه وتحقيقه، إذ إنهم ركزوا على الدعوات ثم قاموا بمجهود كبير لخلق هذه الروح في ذراريهم. ولا بد أن ننتبه تلقائيا إلى هذا الأمر عندما يفارقنا أحد أحبائنا أو صلحائنا. ويجب أن ينتبه إليه كل من يؤمن بالله ويوقن بوجوده تعالى.

لقد توفيت والدتي في الأيام الأخيرة، إنا لله وإنا إليه راجعون. وعندما ألقي نظرة على حياتها تتراءى نموذجًا لي عبادتُها وتلاوتها للقرآن الكريم وتعمقها في معانيه، واستغراقها في الصلوات، ومواصلتها الصلاة من المغرب حتى دخول وقت العشاء، ثم قضاء ساعات لأداء صلاة العشاء، فإن كل ذلك يتراءى نموذجا لي. لم تر والدتي زمن المسيح الموعود عليه السلام ولكنها عاشت الفترة الأولى من الأحمدية وحظيت بحبّ الخليفة الأول ودعواته، وانتفعت بفيوض وبركات الصحابة والصحابيات للمسيح الموعود عليه السلام. وكونها البنت الكبرى للخليفة الثاني رضي الله عنه وثاني أولاده قد تمتعت بصحبة الصحابة الذين حظوا بصحبة المسيح الموعود عليه السلام ونالوا فيوضًا وبركات عظيمة. كانت تتمتع في قيامها وقعودها وتكلمها وجميع تصرفاتها برصانة ووقار ينبغي أن يتراءى في كل مؤمن. كانت تشعر بالتياع للقاء الله تعالى، وكانت تبدي رغبتها هذه في أبياتها الشعرية أيضا. فنظرًا إلى استغراقها في العبادات أستطيع القول بأن أبياتها

لم تكن ككلام الشعراء الذين في كل واد يهيمون وليس شعرهم إلا كلمات سطحية جوفاء بل أبياتها كانت تعبر عن صوتها القلبي. أقدم لكم بعض الأبيات من قصيدتها، تقول وهي تناجي الله تعالى:

أريد أن أنال حبك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك. وأرغب أن أضحي في طاعة الله تعالى بكل شيء ولا أريد شيئًا إلا كنف رعايته. يا إلهي الحبيب، لا يعمر قلبي سواك ولا أريد إلا رداء رحمتك لأستظل به.

مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ: وَجَبَتْ (البخاري، كتاب الشهادات).. أي وجبت الجنة، لأن من يثني عليه الناسُ بسبب حسناته فإن الله تعالى أيضا يهيئ أسباب مغفرته. إن رسائل التعازي التي بعثها بعض الذين كانوا على علاقة مباشرة مع والدتي تحتوي على الثناء على محاسنها وأوصافها المختلفة. فإنني آمل نظرًا إلى هذه الرسائل وبناء على ما شهدتُه بنفسي أن الله تعالى قد استجاب دعاءها وكساها رداء رحمته ومغفرته.

يا إلهي الحبيب، أدعوك أن تعامل والدتي العزيزة بما طلبَتْه منك في دعائها، ووفِّقْنا – نحن أولادها – لفهم هذا الموضوع واستيعابه وأظِلَّنا أيضا برداء رحمتك، ووفِّقْنا ألا نبتعد عما كانت تتوقعه من أولادها، بل أدعو الله تعالى أن يوفق ذراري أولادها أيضا للحصول على رضاه ﷻ.

والآن أذكر باختصار شديد بعض الأمور المتعلقة بها. فكما أخبرتُكم أنها كانت كبرى بنات المصلح الموعود ﷺ وثاني أولاده كلهم إذ كانت تلي الخليفة الثالث رحمه الله. ولدتْ في أكتوبر عام ١٩١١ من السيدة محمودة

بيغم المعروفة بأم ناصر. وأذكر لكم باختصار واقعة عقد قران المصلح الموعود ﷺ من أم ناصر رضي الله عنها في عام ١٩٠٢. كانت أم ناصر السيدة محمودة بيغم كريمة الدكتور خليفة رشيد الدين ﷺ الذي قال عنه المسيح الموعود عليه السلام في إحدى المرات نظرًا إلى التضحية المالية الكبرى التي قام بها بأنه لو لم يقدم تضحية مالية أخرى لكفاه ما قدمه إلى الآن، إلا أنه ظل يبذل في سبيل الله تعالى إلى آخر حياته.

أُعلِن عن عقد القران في ١٩٠٢ وانعقد الزواج في ١٩٠٣. فلما اقترح المسيح الموعود عليه السلام على الدكتور خليفة رشيد الدين ﷺ هذا الزواجَ كتبَ له. "يبدو أن "محمود" راضٍ بهذا الزواج. لم أتلقَّ شيئًا إلهامًا من الله تعالى بهذا الخصوص ولكن رِضىَ محمود دليل على أن هذا الأمر يكون – بإذن الله تعالى – موافقا لرضى الله تعالى على أغلب التقدير، والله أعلم."

لا شك أن هذا الزواج قد تمّ برضى الله تعالى إذ ألبس الله تعالى رداء الخلافة أكبرَ أبنائهما حضرة الحافظ مرزا ناصر أحمد رحمه الله.

لقد عُقد قران والدتي في ٢-٧-١٩٣٤ مع والدي حضرة مرزا منصور أحمد ابن مرزا شريف أحمد ﷺ وأُعلِن عن قران مرزا ناصر أحمد – الخليفة الثالث رحمه الله – أيضا مع قران والدتي. لقد ألقى حضرة الخليفة الثاني بهذه المناسبة خطبة طويلة في المسجد الأقصى بقاديان. كان القران الأول لحضرة مرزا ناصر أحمد الخليفة الثالث رحمه الله والثاني كما قلت لوالدي ولوالدتي. أذكر فيما يلي بعض المقتبسات من هذه الخطبة التي تهم جميع أفراد الجماعة بشكل عام إلا أنها تخص أفراد عائلة المسيح الموعود حتى يشعروا بمسؤولياتهم. لقد انتبهت

إلى هذه الخطبة بعد وفاة والدتي فلعلها تثاب على ذلك إذ كانت ساعية لتربية الأقارب والأباعد. يقول حضرة الخليفة الثاني ﵁:

"المراد من آية ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ البروز الكامل للنبي ﷺ. وكان النبي ﷺ قد ذكر أنه لو ظهَر الشخصُ الموعود الذي يمكن أن يسمى ظلاً كاملاً لي فسوف يحارب الدجال عنكم، وإلا فليس هناك سبيل آخر إلا أن يقاتل كل مسلم الدجالَ ويموت.

لقد أنبأ النبي ﷺ هنا، أو بالأحرى قد عقد النبي ﷺ الأمل بأبناء فارس أن رجالا منهم سينبرون لتلك الفتنة الهائلة عند ظهورها، ويقيمون الإيمان في العالم ثانية، غير مكترثين لما يلقون في هذا السبيل من أخطار وصعاب وشدائد."

يقول حضرته ﵁: "إنها ليست نبوءة أدلى بها النبي ﷺ فحسب، بل هي أمنية ورغبة وأمل منه ﷺ حيث أخبر عما يريده الله تعالى من أبناء فارس. لقد سبق أن وقعت في عهد النبي ﷺ فتنة كانت أقلَّ خطورةً وتأثيرًا ونتيجةً من هذه الفتنة الهائلة، وإن رد فعل الصحابة حيالها مسجل في تاريخ الإسلام حتى اليوم."

ثم ذكر حضرته تفاصيل شجاعة الصحابة وكيف قدّموا التضحية بأنفسهم. ثم ذكر ﵁ تلك الحرب التي وقعت بعد فتح مكة وشارك فيها المسلمون الجدد أيضا وقد غرهم كثرهم وأصبحوا يتكبرون بسببها ولكنهم عندما واجهوا وابلاً من سهام الكفار لم يثبتوا في ميدان الحرب، فلما أجفلت خيول هؤلاء المسلمين الجدد أحدثوا – بسبب ضعف إيمانهم وقلة تربيتهم – شقاقًا بين

صفوف الصحابة القدامى أيضا، مما أدى إلى إرباك خيولهم أيضا فأجفلت هي الأخرى، وكانت النتيجة أنه لم يبق مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر صحابيًا. فأمر النبي ﷺ أحدا لينادي بين صحابته ولا سيما بين الأنصار قائلا: إن رسول الله يدعوكم. يقول الصحابة: كنّا نشد أزمّة خيولنا وأعناقها لدرجة أنها التصقت بظهورها، ومع ذلك ظلت الخيول راكضة وتأبى أن ترجع، فلما سمعنا أن الرسول ﷺ يدعونا إليه "سرى تيار كهربائي في أجسادنا"، فمن استطاع منا العودة بمطيته إلى ساحة القتال فعل، ومن لم يستطع ذلك قطع عنقها بالسيف وأخذ يتقدم إلى النبي ﷺ حتى اجتمعوا في دقائق.

يقول حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه:

"واعلموا أن النبي ﷺ سبق أن رفع قبل ثلاثة عشر قرنًا صوتًا كان أكثر عظمةً ويقينًا وثقة ومحبة ورجاءً من هذا النداء الذي رفع في تلك المعركة حيث قال: "لَو كَانَ الإِيمَانُ مُعَلَّقًا بِالثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ أبناء فَارِسٍ" (المعجم الكبير للطبراني، ومجمع الزوائد للهيثمي).. أي عندما يأتي على أمتي ذلك الزمان الذي تسيطر فيه فتنة الدجال على العالم، ويندرس الإسلام، ولن يبقى الإيمان، ويمسي الإنسان مؤمنًا ويصبح كافرًا، ويصبح مؤمنًا ويمسي كافرًا، فآمل أن يقوم عندها من أهل فارس رجال يلبون ندائي، فيعودون بالإيمان من الثريا مرة أخرى.

ولم يقل النبي ﷺ هنا: "رجل من أبناء فارس"، بل قال: "رجال من أبناء فارس"، مما يعني أن مسؤولية إشاعة الدين لا تقع على ذلك الرجل الفارسي

الموعود فقط، بل تقع على أولاده أيضًا، وأن النبي ﷺ يعقد بهم أيضًا الآمال التي عقدها بالرجل الفارسي.

هذا هو الصوت الذي رفعه محمد ﷺ لرفع معنويات الصحابة عندما ارتجفت قلوبهم واستولى اليأس والهلع عليهم حين أخبرهم ما يؤول إليه الإسلام من حالة تعيسة. وهذه هي الآمال والثقة التي وضعها النبي ﷺ بأبناء الرجل الفارسي. وها أنا أقوم بمسؤوليتي وأؤدي واجب تبليغ هذه الرسالة النبوية إلى جميع أولئك الذين هم من أولاد هذا الرجل الفارسي. لقد توقع النبي ﷺ هنا أنه عندما تكون أمته على وشك الهلاك فسيناله "رجال من أبناء فارس"، وهكذا عقد على ذرية ذلك الرجل الفارسي الموعود أملاً أكيدًا أنهم لن يتوجهوا إلى مغريات الدنيا ومطامعها وترقياتها، بل ينذرون حياتهم لهدف واحد وهو أن يرفعوا راية الإسلام ويعودوا بالإيمان من الثريا ويأتوا بخلق الله إلى أعتابه تعالى. هذا الأمل الذي عقده النبي ﷺ بذرية الرجل الفارسي وهذا النداء الذي رفعه، فالأمر متروك لهم الآن كيف يلبون نداءه ﷺ. فأقول لهم، سواء أكانوا أولادي أو أولاد إخوتي، فكِّروا في أنفسكم، وراجِعوا فطرتكم وضمائركم، لتعرفوا واجباتكم بعد سماع هذا النداء النبوي ﷺ."

وفقنا الله – نحن الذين ننتسب إلى هذا الرجل الفارس – لفَهْمَ الرسالة المؤثرة للمصلح الموعود رضي الله عنه وأداء مسؤولياتنا تجاهها، ووفّق ذرياتنا أيضا لأداء هذه المسؤولية، وأن يكون فراق هذه الشخصية من عائلة المسيح الموعود منبّهًا لنا إلى أهمية هذا الواجب الذي فوّضه المسيح الموعود إلى أفراد جماعته حيث ذكر في مناسبات كثيرة المعاييرَ العليا التي أراد أن يراها ماثلة في حياة أتباعه.

والآن أذكر بعض أحداث من سيرة والدتي.

لقد اهتم حضرة المصلح الموعود ﵁ بتعليمها الديني والدنيوي اهتمامًا كبيرًا وِفق أوضاع ذلك الزمن. فقد درست حتى البكالوريا. ثم قال المصلح الموعود ﵁ عند وفاة حرمه السيدة أمة الحي ﵂: إنه خطرت ببالي خطة عن تعليم النساء وتربيتهن. وظهرت هذه الخطة على الصعيد الواقع عندما فتح حضرته مدرسةً للسيدات في ١٧-٣-١٩٢٥، وكانت والدتي من الدفعة الأولى لطالبات هذه المدرسة. لقد قدّمت في عام ١٩٢٩ سبع سيدات من هذه المدرسة امتحان "المولوي الفاضل" (وهي شهادة في العلوم الإسلامية واللغة العربية) وقد نجَحْن كلهن، وكانت والدتي إحداهن.

كتب المصلح الموعود ﵁ قصيدةً تفيض بالأدعية المؤثرة بمناسبة إنهاء أولاده القراءة الأولى للقرآن الكريم، وذكر فيها بعض أولاده بأسمائهم أيضا، وورد ذكر والدتي في بيت من الشعر معناه:

وابنتي ناصرة، تلك الابنة الصالحة والعاقلة التي هي كثيرة السعادة ونقية السريرة.

لم يجد حضرة المصلح الموعود ﵁ هذه الأوصاف فيها لكونه والدًا لها بل شهدتْ على ذلك كثير من السيدات اللواتي عملنَ مع والدتي فترة طويلة، فكتبت لي إحدى الرئيسات في فروع الجماعة المحلية التي كانت تعمل مع والدتي تقول: كانت المرحومة تهتمّ جدًّا بتربية السيدات، ولأجل ذلك كانت توجِد طرقًا جديدة للتربية. كانت تسعى حتى تصبح كل فتاة وكل سيدة من أهل ربوة مثالية في مجال التربية. وكلما صادفت أثناء الطريق إحدى الفتيات

أو السيدات الأحمديات ورأت أن حجابها ليس على ما يرام أفهمتْها بكل محبة ووضحتْ لها المستوى المطلوب من حشمة ووقار ينبغي أن تتحلى بـــه كـــل سيدة أحمدية، وقد حدث ذلك كثيرًا.

أذكر لكم فيما يتعلق بحجابها مقتبسا من خطاب الخليفة الرابع رحمه الله ألقاه في السيدات في الجلسة السنوية الأولى في عهد خلافته عام ١٩٨٢، فقد تناول موضوع الحجاب وذكر والدتي فقال:

"إن لنا أختًا كبيرة محترمة، وهي متشددة في أمر الحجاب منذ البداية لأنها من الجيل الأول من النساء اللواتي تربين على يد المصلح الموعود ﵁، فقد أصبح جزء لا يتجزأ من فطرتها كلَّ ما رأته في زمن المصلح الموعود من اهتمامه أثناء خروج الفتيات من البيت، ولا تستطيع أن تتخلى عن هذه السيرة. وتقول بعض الفتيات عن أمثال هؤلاء: إنهم أناس من عصر قديم وفكرهم قديم فلا تقولوا لهم شيئا. أي كأنهن يقلن بأن عقلهم ليس على ما يرام. وأسألهن ماذا يقصدن من العصر القديم؟ لا أعلم عصرًا قديمًا في الإسلام غير عصر النبي ﷺ. فلو أراد أحد أن يطعن في أختنا هذه بقوله: إنها تنتمي إلى العصر القديم فهذا شأنه وأمره إلى الله، ولكنني أقول بأن أختي هذه متشبثة بأهداب التقوى ولذلك فهي تتشدد في هذا الأمر."

بقيت والدتي رئيسة "لجنة إماء الله" لفترة طويلة. وكانت تسعى جاهدة لتتفوق جماعة ربوة كل سنة، لم يكن سعيها هادفًا إلى تسجيل الأرقام فحسب كما تفعله بعض الرئيسات والقائدين والزعماء في فروع الجماعة المختلفة، بل كانت تبذل جهودها بفكرة أن الخليفة موجود في ربوة فيجب أن تتقدم

جماعة ربوة من جميع النواحي حتى لا يقول الناس إن جماعة ربوة تتمتع بالسراج ومع ذلك تعيش في الظلام.. أي أن مستواها التربوي متدنّ رغم وجود الخليفة فيها.

كانت في جميع أعمالها تبتغي رضوان الله تعالى. كتبت إليَّ إحدى السيدات: كانت قراراتها حكيمة وتستهدف دوما نتائج عظيمة. كانت تستشير الآخرين وتحترم كل من يقدم لها أية مشورة.

تقول زوجة الأستاذ أبي المنير نور الحق: لقد رأستُ لجنةَ إماء الله في حيِّنا لفترة طويلة فكانت السيدة ناصرة بيغم قد أمرتْنا (نحن الرئيسات) أن نطلب من كل عضوة أن تحفظ بيتين من كلام سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أو المصلح الموعود رضي الله عنه في كل اجتماع أسبوعي، فبسبب ذلك كسبنا زيادة في العلم والعرفان والروحانية، وبالإضافة إلى ذلك كان فريقُ ربوة في المبارزة الشعرية ينال المركز الأول بمناسبة الاجتماع السنوي لِلَّجنة، فكانت حضرتها نفسها قد حفظتْ أبياتا كثيرة. وهذا ما أعرف أنا أيضا شخصيا أن والدتي كانت قد حفظتْ أبياتا كثيرة.

لقد كتبتْ إلي إحدى السيدات وهي على ما أذكر زوجةُ الأستاذ عطاء المجيب راشد أنها ذات مرة ذهبت مع وفد في جولة إلى مدينة سيالكوت على الأغلب وكان الوفد يضم والدتي أيضا، فقالت والدتي لهن: أفضِّل أن نجري في ما بيننا مبارزة شعرية بدلا من تبادل الأحاديث، وهكذا سيمر الوقت ونجتنب لغو الحديث، فبدأنا وتمتعنا طوال السفر كثيرا.

أود أن أذكر هنا على الهامش أن والدي حضرة مرزا منصور أحمد أيضا كان قد حفظ أبياتا كثيرة من كلام سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عن ظهر قلب، وأتذكر جيدا أنه كان قد حفظ القصيدة المشهورة الطويلة التي مطلعها "يا إلهي يا وكيلي يا ساتر العيوب والفعال! ..." وعندما كنا نجلس معه في سفر في سيارة كان يشكِّل فريقين فريقا له وفريقا لأُمي، ولكي يشجِّعنا نحن الأولاد كان يضمنا في الفريقين. كما كانت والدتي قد حفظت القصيدة العربية المشهورة لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام، وفي أواخر أيام حياتها كلما شعرت أن ذاكرتها ضعفت أو لا تتذكر بعض الأبيات أو الكلمات منها كانت تطلب من إحدى حفيداتها التي كن يَنَمْن عندها بعد وفاة والدي أن تمسك الكتاب وكانت تقرأ عليها وإذا نسيتْ قرأتْ لها من الكتاب. وكانت عادتها اليومية أن تقرأ هذه القصيدة ذات السبعين بيتا والتي مطلعها "يا عين فيض الله والعرفان" فقد ظلّت تحفظها حتى أواخر عمرها وربما نسيت بيتا أو بيتين. وكذلك لاحظتُ أنها كانت تقرأ القرآن الكريم باهتمام وتتدبره. وعندما تفرغ من شئون البيت –حيث كانت تساعد في أعمال البيت أيضا وترغب في إنجاز بعض الأعمال بالإضافة إلى أعمال لجنة إماء الله– كثيرا ما رأيتُها تقرأ القرآن الكريم بتدبر في الساعة الحادية عشرة تقريبا لساعة أو ساعة ونصف. هذا إضافة إلى تلاوتها بعد صلاة الفجر كالمعتاد. ولاحظتُ أنها لم تكن تفتخر بعلومها مع أن مطالعتها كانت عميقة، كذلك كانت قد قرأتْ كتب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بإمعان، وكما قلت كانت قد تقدمت لامتحان "مولوي فاضل" (وهي شهادة في العلوم الإسلامية واللغة العربية

مشهورة في باكستان والهند) وكانت قد تعلمت اللغة العربية وكانت تتقنها، فكانت تستطيع قراءة الكتب العربية. كانت تواسي الآخرين كثيرا وكانت تساعد المحتاجين بحسب وسائلها نقدا وغلالا، كما كانت تنصح بذلك الآخرين أيضا أن فلانا بحاجة إلى مساعدة فلتقدَّم له المساعدةُ، ولهذا كان بعض الميسورين –الذين كانوا يعرفونها وهم على علاقة ثقة واحترام بها– يرسلون لها المبالغ والصدقات لتوزّعها على المستحقين. ولما كانت رئيسة لجنة إماء الله في ربوة فقد كانت تشارك في اجتماعات اللجنة في أحياء مختلفة، ومن ثم كانت تعرف الفقراء شخصيا في ربوة، ومطّلعةً على أوضاعهم. لقد أخبرني الأستاذ شودري حميد الله –الذي كان رئيسا للجنة توزيع القمح على الفقراء لمدة طويلة– أنه كان متأكدا من صحة التوصية التي كانوا يتلقونها من لجنة إماء الله وأنه لا حاجة لتقصي الحقائق، فلم تكن رئاستها تنحصر في الأمور الديوانية والإدارية بل كانت لها علاقة خاصة بكل بيت في ربوة تقريبا. لجنة إماء الله ربوة كانت في البداية تابعةً للجنة المركزية، وفي يناير ١٩٥٣ تقرر أن تنفصل لجنة ربوة عن اللجنة المركزية، وأن تكون رئيسةُ لجنة ربوة عضوةً في الهيئة الإدارية للجنة المركزية، وحين استُشيرت السيدات عمَّن يمكن أن تكون رئيسة لجنة ربوة أجمعن على أن ترأسها السيدة ناصرة بيغم، وهذا ما قد ورد في تاريخ اللجنة. وفي ضوء هذه الآراء جُعلتْ حضرتها رئيسة للجنة ربوة، فظلت تخدم اللجنة في هذا المنصب حتى ١٩٨٨ أو ٨٩ وعندئذ قدّمت اعتذارا عن الرئاسة بسبب اعتلال الصحة، لكنها ظلت تخدم اللجنة عضوةً في الهيئة الإدارية. وعلى ما أذكر كانت سكرتيرة خدمة الخلق. في عهد رئاستها

كان فرع اللجنة في ربوة يسجل نشاطا بارزا في كل شعبة، وإن رسائل التعازي التي تصلني فيها قاسم مشترك تقريبا في كل رسالة أنها كانت تستقبل الزائرات بوجه طلق كل مرة وكانت تضيِّف الزائرات وتقدم في الضيافة شيئا حسب الطقس، كما كانت تلاطف الأولاد، وكانت متفرسة وقيّافة حيث كانت تقدِّر الأوضاع برؤية ملامح الوجوه ثم تسأل وتلفت الانتباه إلى الدعاء وترشد إلى اتخاذ التدابير المناسبة. كما كانت تنصح بالدعاء لتربية الأولاد، لقد ذكرتُ آنفا إكرامها للضيف، فأود أن أُخبركم أنها ظلت رئيسة اللجنة لمدة طويلة، فكانت تعقد اجتماعات رئيسات لجان الأحياء المختلفة وهيئاتها الإدارية في بيتنا لمدة طويلة، فكانت في بيتنا شرفةٌ كبيرة واسعة بحيث أقدِّر طولها بأربعين قدما، ففيها كانت تُعقد هذه الاجتماعات. ويوم الاجتماع كان علينا أن نخرج من البيت بُعيد صلاة العصر لأن الطرق كانت مسدودة وتحتلها اللجنة، وإذا لم يخرج أحدنا في الموعد كان يبقى داخل الغرفة لساعتين تقريبا لأنه لم يكن هناك مخرج. فكانت حضرتها تضيِّف هذا العدد البالغ مائتي سيدة تقريبا بالشاي أو العصير حسب الطقس بالإضافة إلى وجبة خفيفة وكل ذلك كان على حسابها الخاص. وعن إكرامها للضيف كتب إلي أحد زملائي في الصف السيد سعيد أنه كان جالسا معي ذات يوم إذ جاء الحاجّ الذي كان يزورنا أحيانا فكانت حضرتها تتمشى في الباحة فحين سمعتْ صوته طلبتْ مني من الداخل أن أستقبله وأُجلسه وأسأله هل قد تناول الطعام أم لا، فهكذا كانت تهتم بالضيوف كثيرا. وعن مواساتها للآخرين كتب إلي أحدهم أن والدتي علمتْ أن أوضاعه ليست جيدة، وأنه يحاول إخراج أولاده خارج البلد

فأرسلتْ إليه سجادة صلاتها الشخصية وقالت: لقد دعوتُ لك ولأولادك كثيرا على هذا السجادة، سوف يَخرج جميع أولادك إلى الخارج بإذن الله. فكتب إلي ذلك الرجلُ أن الله تعالى هيّأ بعد ذلك وسائل غير عادية لخروجهم كلِّهم، وكان بقي واحد منهم وهو الآخر حصل على الفيزا قبل عدة أيام. لقد كتب هذا الكاتب أن الناس إذا طلب منهم أحدٌ الدعاء يدعون له، أما هي فكانت تواسي لدرجةِ أنها لما سمعتْ عن أوضاعي الحرجة دعتْ لي دون طلب مني ثم أرسلت لي رسالة لأطمئن.

ذات مرة ذكرتْ لي والدتي شخصيا وقصّتْ علي رؤياها التي نسيتُها وإنما أتذكر منها أنها تشرفت فيها بزيارة النبي ﷺ. وكذلك ذكرتْ لي ذات مرة المستقبل المشرق للجماعة في ألمانيا، فحين خرجتُ هذه المرة في جولة إلى ألمانيا ولاحظت هناك علاقات الجماعة ونفوذها، تذكرتُ رؤيا والدتي وأسأل الله ﷻ أن تكون خطوة إلى المستقبل المشرق وتنفتح المنافذ.

ومن مزايا والدتي أنها كانت تهتم بدفع التبرعات بحساب دقيق، فكلما وصلَها دخْلٌ من العقار دفعتْ منه تبرعات الوصية والجلسة السنوية بالنسبة المحددة، كما كانت تدفع باهتمام التبرعات المختلفة مثل التحريك الجديد والوقف الجديد بالإضافة إلى إسهامها في صناديق مختلفة أخرى، فكانت تدفع بانتظام ما وعدتْ في أي صندوق.

حينما كنتُ في باكستان كانت تطلب مني دائما أن أتولّى حساب تبرعاتها بكل دقة وأدفعها أيضا بمنتهى الدقة وكانت تسألني مرارا وتكرار حتى لا ينقص شيء منها، فكانت كثيرة الاهتمام بموضوع التبرعات. كان لها دخل

من أكثر من مورد، وإذا حدث شيء من سوء الفهم في أيٍّ من هذه الموارد كانت تطلب مني أن أعيد الحساب. إذا قلتُ لها بعد مراجعة الحساب بأن عليك دفع مبلغ كذا وكذا دفعتْه فورا. وكذلك هناك تبرع لمنظمة "لجنة إماء الله" يقصر البعض في أدائه أحيانا، ولكن أمّي كانت تدفع هذا التبرع أيضا بكل دقة وحسب النسبة المحددة. بل أرى أنها كانت تدفع أكثر من غيرها في هذا الصندوق لأنها كانت تحاسب مدخولاتها بمنتهى الدقة.

لقد كتب إليّ الدكتور "محمود الحسن نوري" المحترم رسالة عزاء وبعث معها رسالة من أمي وجّهتها إليه، يعود تاريخها إلى عام ١٩٩٩م حين دخلتُ السجن. ثم حين أُطلق سراحي بعث الدكتور المحترم إلى أمي رسالة تهنئة، فكتبت إليه ردّا على رسالته فقالت:

"عزيزي، نوري المحترم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وصلتني رسالتك التي ذكرتَ فيها سعادتك على عودة ابني العزيز مسرور أحمد سالما غانما. كان ذلك فضلا كبيرا من الله تعالى، وإلا كانت خطة العدو خطيرة جدا. لقد أظهر الله تعالى قدرته، ولا نستطيع أن نؤدي حق شكره مهما سعينا. الحق أن الجميع في ربوة وفي خارجها أيضا استمروا في الدعاء بإلحاح شديد، وقد أجاب الله أدعيتهم، فالحمد لله ثم الحمد لله. ندعو الله تعالى أن يحفظ الجميع في المستقبل أيضا."

يتبين من هذه الرسالة مدى تواضعها وشكرها العظيم لله تعالى. لم تقل ذلك بصفتها والدتي بأنها دعت لي كثيرا بل قد علّقت أهمية كبيرة بأدعية أفراد

الجماعة. كذلك لم تدعُ لأولادها فقط بل دعت لجميع أفراد الجماعة قائلة: "ندعو الله تعالى أن يحفظ الجميع".

هذه هي ميزة جماعة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام التي ظهرت منها نتيجة التربية الطيبة التي تلقّتها على يد سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه. هناك أحداث كثيرة في حياتها مرتبطة بشخص سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه ولكن لا يمكن بيانها هنا لضيق المجال. هناك مقابلات معها وهي مسجلة يمكن للإخوة أن يسمعوها أو يقرأوها منشورة. كانت لها سيطرة قوية على عواطفها. لقد أخبرني ابني أنه حين ذهب لزيارتها قبل سنتين أو ثلاث سنوات وقابلها فلاحظ أنها صارت عاطفية جدا عند ذكري.

أدعو الله تعالى أن يستجيب كل أدعيتها بحقي وبحق إخوتي وأخواتي وأولادنا جميعا. إن علاقتها معي قد تغيّرت تماما بعد أن توليتُ منصب الخلافة. هذا ما كنت أشعر به كلما تكلمتُ معها على الهاتف. حين كنت أهاتفها قبل الخروج إلى الجولات كانت تدعو لي دائما: بارك الله في كلامك وخطاباتك، وذلك لأنها كانت تعرفني بأني قليل الكلام جدا، والمعلوم أن الأم تعرف ابنها أكثر من غيرها. وكانت تقول أيضا بأني أصلّي النوافل وأدعو لك في السجود في كل صلاة. وفي عام ٢٠٠٥م حين سافرت إلى قاديان وقابلتها هناك لأول مرة بعد تولّي منصب الخلافة كان الوضع غريبا إذ كانت التجربة نادرة بكل معنى الكلمة. شاهدتُ لديها العواطف نفسها التي كانت تكنّها للخلفاء الذين سبقوني، وهذه العلاقة لم تكن علاقة البنوة، بل علاقة الخليفة وكانت مليئة بالحب والاحترام. لقد سجل السيد الدكتور إبراهيم منيب (ابن السيد مير

محمود أحمد) مقابلة معها دار فيها الحديث حول أحداث قديمة جدا – وقد أرسل لي الدكتور منيب هذا الشريط المسجل – فقالت عند ذكري بأني أحترمه الآن أكثر من ذي قبل لأنه الآن خليفة.

لقد قدّمت والدتي الحبيبة الرابطة الدينية على الروابط الدنيوية كلها. ففي هذه المناسبة أيضا غلبت علاقة الخلافة على علاقة البنوة. كلما كنت أذهب لزيارتها في أثناء مكوثي في قاديان كنت أرى سرورا ولمعانا في عينيها، وكانت الفرحة بادية في ملامحها. كلما كنت أجد وقتا من أشغال الجلسة أثناء مكوثي في قاديان كنت أجلس معها لفترات طويلة وكنا نتحدث في أمور كثيرة. غير أن مكوثي في قاديان كان وجيزا.. أي لأسبوعين فقط. وحين سافرتْ إلى باكستان – علما أنها سافرت من قاديان إلى باكستان قبل سفري من هناك – ودّعتني بأدعية كثيرة.

لقد كتب إليّ الدكتور فرخ – وهو الابن الأصغر للسيد مير محمود أحمد – بأنه عندما ذهب إليها لتقديم العزاء بوفاة الخليفة الرابع رحمه الله نصحته وطلبت منه الدعاء وقالت: ادع الله تعالى للتوفيق لبيعة الخليفة الجديد – أيًّا كان – وأن تنشأ معه علاقة متينة ومخلصة. فكانت حريصة على توطيد العلاقة مع الخلافة، الأمر الذي نصحت له ودعت أيضا. ندعو الله تعالى أن يُدخلها فسيح جناته، آمين.

هناك أحداث كثيرة كما قلت من قبل، ولكني سأكتفي بذكر حادث واحد في الأخير. في عام ١٩١٣م عزم سيدنا المصلح الموعود ﷺ على إصدار جريدة "الفضل" فقدّمت السيدة "أم ناصر" بعضا من حليّها مبلغا أوليًّا. يقول المصلح

الموعود ﷺ بهذا الصدد بأن الله تعالى ألقى في قلب زوجتي كما سبق وألقى في قلب السيدة خديجة رضي الله عنها لنصرة سيدنا رسول الله ﷺ. فأعطتني حليّها الذهبية مع علمها أن دفع النقود من أجل الجريدة التي سيصدرها بها "محمود" بمنزلة هدر الأموال تماما (طبعا هذا الكلام ناتج عن تواضع سيدنا المصلح الموعود ﷺ) كان ضمن تلك الحلى سواران لها وسواران آخران كانت قد احتفظت بها لابنتنا السيدة ناصرة بيغم. أخذتُ الحلى وسافرتُ إلى لاهور للتو وبعتُها بـ ٤٧٥ روبية وبدأت بها إصدار جريدة "الفضل". فأرجو من قراء "الفضل" أن يذكروا ابنة المصلح الموعود هذه – وهي والدتي – التي ساهمت في صدور جريدة "الفضل" وإن كان ذلك بصورة غير مباشرة. ندعو الله تعالى أن يرفع درجاتها دائما وتصلنا بركات أدعيتها دائما. بعد صلاة الجمعة سوف أصلي عليها صلاة الغائب.

وبالإضافة إلى جنازتها هناك جنائز أخرى أيضا، أولها جنازة السيد شودهري نذير أحمد الذي كان موظفا حكوميا، وبعد تقاعده في عام ١٩٨١م نذر حياته لخدمة الجماعة فعيّنه الخليفة الثالث رحمه الله نائب ناظر الزراعة ونائب وكيل الزراعة. وبقي في هذا المنصب إلى عام ٢٠٠٣م وخدم الجماعة بكل إخلاص وتواضع وجدية. لقد أرسله الخليفة الرابع رحمه الله إلى بعض البلاد الأفريقية أيضا. كان المرحوم على علاقة جيدة معي أيضا بسبب أراضي الجماعة في إقليم السند ــ بباكستان. كان متواضعا جدا وكان يعاملني بكثير من الحب والاحترام. وحين كان يدرس في الكلية وُفِّق في أثناء العطل لمساعدة المولوي شير علي في ترجمة القرآن الكريم بالإنجليزية. وهكذا ساهم في هذه

الترجمة. ترك المرحوم وراءه ابنين وبنتا. ألهمهم الله تعالى الصبر والسلوان ورفع درجات المرحوم. ذُكر عنه أنه كان متعودا على أداء صلاة التهجد بالتزام منذ أيام شبابه. ولقد لاحظت شخصيا أنه كلما سافرنا معا كان يستيقظ دائما لصلاة التهجد في الهزيع الأخير من الليل ويصليها بكل خشوع وخضوع. وبسبب حسنته هذه كان معروفا في عائلته باسم: "صوفي نذير أحمد"، كذلك كان معروفا بكثرة الصلاة والعبادة، رفع الله تعالى درجاته.

وهناك جنازة أخرى وهي لميرزا رفيق أحمد وهو الابن الأصغر لسيدنا الخليفة الثاني رضي الله عنه، وقد توفِّي قبل بضعة أيام. إنا لله وإنا إليه راجعون. أما خدماته للجماعة فليست تذكر. ندعو الله تعالى أن يغفر له ويرحمه. ترك وراءه ثلاثة أبناء وبنتا، وكلهم على علاقة إخلاص ووفاء بالخلافة بفضل الله تعالى. ندعو الله تعالى أن يلهمهم الصبر والسلوان ويوفقهم لتحقيق الهدف من بعثة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. بعد صلاة الجمعة سوف أصلي عليهم جميعا صلاة الغائب.